

غزة وكيف.. مأزق بايدن المزدوج

الكاتب



عبدالله السناوي

في حربي أوكرانيا وغزة يجد الرئيس الأمريكي جو بايدن نفسه أمام مأزق مزدوج قد يكلفه خسارة الانتخابات الرئاسية نوفمبر المقبل. المأزق المزدوج إخفاق مؤكد.

في الحربين طرح سؤال مستقبل النظامين الدولي والإقليمي. بحكم النتائج الماثلة يصعب أن يكسب رهاناته على قيادة أمريكية منفردة للنظام الدولي وهيمنة كاملة على مقادير شرق أوسط جديد.

المفارقات سمة رئيسية في أية مقارنة للحربين. لم يبد الرئيس الأوكراني فولوديمير زيلينسكي أي تعاطف بأية درجة مع الضحية الفلسطينية. لم يتردد للحظة واحدة في دعم آلة الحرب الإسرائيلية.

في الأيام الأولى للحرب الأوكرانية، قبل عامين بالضبط، بدأ التحشيد الإعلامي هستيريا إلى درجة منع تدريس الأعمال الأدبية الروسية في الجامعات الإيطالية ووقف أية عروض بالية تنتسب إلى الإرث الحضاري الروسي. قيل في نقد ذلك الهوس إنهم يخلطون بين «بوشكين» و«بوتين»! بمضي الوقت وتطورات المعارك خفتت تلك اللغة الاستثنائية بحمولات الجهل فيها.

العكس تماماً حدث في حرب غزة. في البداية لاقت السردية الإسرائيلية لما حدث في السابع من أكتوبر رواجاً إعلامياً واسعاً قبل أن تتهاوى حملات التشهير بالمقاومة الفلسطينية.

أفضت الأكاذيب، التي ثبت عدم صحتها عن فظائع ارتكبت في ذلك اليوم، إلى انقلاب في بوصلة الرأي العام الغربي.

لعبت وسائل الاتصال الحديثة أدواراً جوهرياً في إطلاع الرأي العام الغربي لأول مرة بتاريخ الصراع العربي الإسرائيلي

على حقيقته ومأساته. خرجت تظاهرات بمئات الألوف في الحواضر الغربية الكبرى تؤيد الضحية الفلسطينية كما لم يحدث منذ نكبة 1948. أحييت القضية الفلسطينية بعد الظن أنها توارت للأبد ودخلت طيّ النسيان. هُزمت إسرائيل استراتيجياً وأخلاقياً بغض النظر عن النتائج الأخيرة في الميدان

لم تحدث مثل هذه التفاعلات الشعبية داخل الغرب في حربه الأوكرانية

عندما أقدم فلاديمير بوتين على ما أسماه العملية الخاصة ربما اعتقد أنها سوف تكون قصيرة وحاسمة بالنظر إلى فوارق القوة العسكرية بين البلدين

بنى بوتين أسبابه للتدخل العسكري على اعتبارات أمنية بالمقام الأول. كان رفضه قاطعاً لوجود تمركزات لحلف «الناتو» على حدوده المباشرة

انخرط التحالف الغربي في حرب بالوكالة على الأراضي الأوكرانية بذريعة حماية المدنيين الأوكرانيين مما يحق بهم من تشريد وجرائم

يستلفت الانتباه هنا ما وفرتة الإدارة الأمريكية من غطاء استراتيجي شبه مطلق لآلة الحرب الإسرائيلية للمضي في تدمير حياة وأمن أكثر من مليوني فلسطيني هدمت بيوتهم وجرت بحقهم حروب إبادة وتجويع. استخدمت حق النقض بمجلس الأمن لمنع استصدار أي قرار يوقف تلك الحرب

لم تكن الحرب على غزة سوى مواجهة بالسلح من أجل الهيمنة على الشرق الأوسط ومنع أي فرص حقيقية أمام دولها لاكتساب استقلال قرارها الوطني

بنظرة مقارنة لم تكن أوكرانيا موضوع الحرب على أراضيها بقدر ما كانت ضحيته. موضوع الصراع مستقبل النظام الدولي وموازن القوى فيه

طلب الرئيس الأمريكي جو بايدن ترميم صورة القوة العظمى الوحيدة رافعاً شعار «أمريكا عادت». أعاد ترميم حلف «الناتو»، الذي كاد يتقوض على يد سلفه دونالد ترامب حين طلب من حلفائه أن يتحملوا تكاليف الدفاع عن أنفسهم «رافعاً شعار: «الدفع مقابل الأمن»

مشكلة بايدن أنه أفرط بالتوجه العكسي. أقحم دول الحلف في الحرب الأوكرانية تمويلاً وتسليحاً وتدريباً وانخراطاً. استخباراتياً بالعمليات العسكرية، لكن النتائج لم تتوافق مع الرهانات

فشلت عملية الهجوم المضاد الأوكراني في إحراز اختراق عسكري يساعد على فرض نوع من السلام على روسيا. ترنحت الرهانات الأمريكية بينما أثبتت روسيا قدرتها على التماسك بأكثر من أي توقع مسبق أمام العقوبات الاقتصادية القاسية التي فرضت عليها

تضررت روسيا من آثار الحرب على أدوارها السياسية والاستراتيجية على المسرح الدولي، لكنها أيدت وتعاطفت وتبنت ما تطلبه المجموعة العربية في مجلس الأمن من قرارات دولية توقف الحرب في غزة دون أن تتجاوز حدود الدبلوماسية

باليقين فإنها من أكثر الذين استفادوا من التورط الأمريكي في تلك الحرب واستحكام مأزق بايدن الداخلي على خلفية اتساع المعارضة داخل حزبه الديمقراطي للسياسة التي يتبعها

على مشارف العام الثالث من الحرب في أوكرانيا تقوضت نهائياً رهانات بايدن على نصر ما

أي سلام ممكن سوف يكون اعترافاً بالهزيمة. هكذا لا يمكن لبايدن التراجع ولا يمكنه بالوقت نفسه الاستمرار في الحرب. هذا مأزق محكم يجد نفسه فيه

بذات الوقت يعترضه في الحرب على غزة مأزق آخر أكثر إحكاماً. لا يقدر على فرض تصوراته على الحكومة الإسرائيلية لليوم التالي، ولا يحتمل أن تفلت فرص التهدة من بين يديه فتستحكم أزمته الداخلية

"حقوق النشر محفوظة" لصحيفة الخليج. © 2024.